هجرة الجزائريين إلى فرنسا خلال العهد الاستعماري من خلال الكتابات الفرنسية (1830-1962م)

شيخ لعرج

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة معسكر
laredj.chikh@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال:2018/12/26؛ تاريخ القبول:2019/02/13

The Algerian immigration to France during the french occupation through the french writings(1830-1962).
CHIKH laredj

Abstract:

The Algerian immigration towards France is an old movement, that began since the french occupation of Algeria in 1830, and continued until after the national independance. This immigration varied in intensity from one area to another depending on the circumstances, and from one period to another depending on the historical events, and its disabble by France in many periods in front of the pressures of the european settlers.

This study attempts to follow the stages of the development of this migration during the period of the occupation, and analyze its main motives, and the main areas from which they were issued , trying finally to illustrate the suffering of the immigrants today, and the french view to those whom France encouraged their parents to work in its territory and benefit from them.

Key words: Migration; colonialism ; french people ; stages ; immigrants .

الملخص:

حركة الهجرة الجزائرية نحو فرنسا حركة قديمة، بدأت منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م، واستمرت إلى ما بعد الاستقلال الوطني وكانت تختلف في كثافتها من منطقة لأخرى تبعا لظروف كل منها، ومن فترة لأخرى تبعا للأحداث التاريخية ولجوء فرنسا إلى تعطيلها في العديد من الفترات أمام ضغط المعمرين. ورغم هذا التعطيل والخنق الذي كانت الإدارة الاستعمارية تمارسه ضد الجزائريين وفي مقدمتهم الشباب إلا أن الهجرة ازدادت كثافة نحو الأراضي الفرنسية، فرارا من تدهور الأوضاع الاجتماعية لشعبنا. ولم تقتصر الهجرة في بعض الأحوال على مناطق فقيرة بقدر ما شملت حتى بعض الجهات الميسورة نسبيا في ظل الإجراءات الاضطهادية أيضا ضد شعبنا. والجزائريون كانوا مدركين للظروف التي تنتظرهم، من عنصرية وحقد وإهانة، ورغم ذلك عبروا الحدود للضفة الأخرى لعلهم يستفيدون من بعض الظروف المخففة. انطلاقا من ذلك تحاول هذه الدراسة تتبع مراحل هذه الهجرة في فترة الاحتلال الفرنسي، وتحليل دوافعها الأساسية، وإبراز المناطق الرئيسية التي صدرت منها الهجرة، محاولين الوقوف على معاناة المهاجرين خلال كل هذه الفترات، ونظرة الفرنسيين اليوم لمغتربينا الذين كانت فرنسا تشجع آباءهم على العمل في أراضيها والاستفادة منهم.

الكلمات المفتاحية: الهجرة؛ الاستعمار؛ الفرنسيون؛ المراحل؛ المهاجرون.

مقدمة:

الهجرة الخارجية ليست ظاهرة جديدة في المجتمع الجزائري، ولكن جديدها خلال الفترة الاستعمارية وباتجاه فرنسا بالذات هو ما مس حجمها وأنماطها ودوافعها وآثارها. وقد أثبتت الاحصائيات ارتفاع معدلات هذه الهجرة بصفة خاصة أثناء الحرب العالمية الأولى وما بعدها الى غاية الاستقلال الوطني عام 1962م، وأصبحت من

القضايا الشائكة التي تثير اهتمام السياسي والسوسيولوجي والمؤرخ وغيرهم، وفي هذا السياق جاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على رؤية الباحثين الفرنسيين على اختلاف توجهاتهم لدوافعها وتأثيراتها سواء على المجتمع الفرنسي أو على المهاجرين أنفسهم، كما تحاول التحري عن مواقفهم منها سلبا أم ايجابا في ظل تنامي الأطروحات المعادية للأجانب عموما والجزائريين خصوصا، والسياسات الاقصائية المنتهجة ضد المغتربين من قبل الحكومات المتعاقبة على السلطة في فرنسا.

أغلب الكتابات غير الفرنسية تضع الهجرة الجزائرية الخارجية في الفترة الاستعمارية في سياقها التاريخي المرتبط بالاستعمار، وما ينجر عنه من فقر ونقص فرص العمل وتضييق على الحريات وقمع عسكري وعنصري، فهل تتفق الكتابات الفرنسية مع هذا الطرح؟ وكيف كان تفسيرهم لصعوبة اندماج المهاجرين في المجتمع الفرنسي؟ هذه الصعوبة في الاندماج الاجتماعي والاقتصادي والتي ولدت لهم المشاكل النفسية وزرعت فيهم الاحساس بالغربة، تفسرها الطبقة السياسية بعجز المهاجرين عن التخلي عن ارثهم الثقافي وفشلهم في التأقلم مع الواقع المحلي بما يحمله من اختلافات عقائدية وثقافية، تبريرا من هذه الطبقة للإقصاء الممنهج.

ان المتتبع للدراسات المنجزة حول ظاهرة هجرة الجزائريين الى فرنسا في الفترة الاستعمارية يجد بوضوح اشارات الى مسؤولية الاستعمار في ارتفاع حجم الظاهرة وما انجر عنه من تداعيات في مقدمتها الاقصاء و التهميش واستفحال ظاهرة العنصرية تجاه المهاجرين، حيث لم يكن الاستعمار يعتبرهم مواطنين رغم أن بلادهم كانت فرنسا تعتبرها جزءا منها، كما لم تكن تعتبرهم أجانب حتى تحترم حقوقهم، ورغم هذا الوضع الغامض كانت تعتمد على أكبر نسبة ممن كانت تسميهم الأهالي وقت أزماتها، سواء دفاعا عنها في حروبها المختلفة أو لتنمية اقتصادها المنهار بعد هذه الحروب، وفي كل الحالات يجد هؤلاء الأهالي أنفسهم أمام حتمية البقاء في فرنسا بفعل ظروفهم التي صنعها الاستعمار، هذه الجوانب التي نبحث عن تفسير لها أيضا من خلال الكتابات الفرنسية، لعل البعض منها يكون

منصفا لمهاجرينا الذين قدموا خدمات جليلة لمن وصفته لهم فرنسا بالوطن الأم، والذين يستحقون التكريم والاعتراف بالجميل عوض النبذ والاقصاء.

النص :مسألة **الهجرة الجزائرية إلى فرنسا خلال الفترة الاستعمارية**

لقد عالجنا في البداية أهم الهجرات الأولى التي عرفتها الجزائر بعد سقوطها مباشرة تحت السيطرة الفرنسية، محاولين التنقيب عن دوافعها من خلال الأقلام الاستعمارية، وهل كانت هذه الأقلام نزيهة فعلا في معالجة الظاهرة، ثم انتقلنا إلى بقية المراحل بنفس الوتيرة والهدف، ومن هذه المحطات: الهجرة أثناء الحرب العالمية الأولى وآثارها، الهجرة الجزائرية بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، الهجرة أثناء الحرب العالمية الثانية، وبعدها نشاط حركة الهجرة بين نهاية الحرب وقيام الثورة التحريرية سنة 1954م، ليأتي الدور على مسارات الهجرة دائما نحو فرنسا، والمناطق الأصلية للمهاجرين لنعرف أثر الظروف التي ولدت هذه الهجرة، وخاصة نحو بلد المستعمر، متتبعين هذه المناطق من الغرب الجزائري إلى أقصى الشرق ثم الواحات الصحراوية، مقارنين بين ظروف كل هذه المناطق وهل كانت السياسة الاستعمارية وراء هذه الهجرات كلها، لنصل إلى خاتمة ضمناها وجهة نظرنا فيما كتب من طرف هؤلاء الباحثين حول الدوافع الحقيقية، ومقارنتها في بعض الأحيان بآراء بعض الباحثين الجزائريين .

الهجرات الأولى للجزائريين نحو فرنسا :

في القرن التاسع عشر صنعت فرنسا الاستثناء، حيث عرفت تراجعا في الولادات، لم يعوضه تراجع الوفيات وأصبح النمو الديمغرافي عاجزا على توفير اليد العاملة الضرورية للنمو الاقتصادي الذي بدأت تعرفه فرنسا آنذاك. وخوفا من عرقلة هذا المشكل للإقلاع الاقتصادي، أولت السلطات الفرنسية مبكرا أهمية كبرى للهجرة.

في عام 1851م لما أجري أول احصاء، تم تسجيل نحو 381 ألف أجنبي يعيشون في فرنسا، ليرتفع عددهم بعد مضي ثلاثين سنة إلى أكثر من مليون شخص، أغلبيتهم من بلجيكا، إيطاليا، ألمانيا، سويسرا أو إسبانيا. استغل هؤلاء المهاجرون حرية الحركة بفرنسا، وكانوا

يشتغلون عموما في الأعمال الصعبة وفي المصانع، وارتبطت هجرة العمال بمواليد جدد شكلوا فئة من المجتمع الفرنسي، فقد عرفت - على سبيل المثال - سنة 1891م وجود 400 ألف أجنبي ولدوا بفرنسا، ومهد ذلك لبداية استقرار الفئات الأجنبية بها، وفي هذه الفترة كان رجال الأعمال يحرصون على تشغيل الأوربيين فقط. (Blanc-Chaléard, 2001: 9-12)

هجرة الجزائريين بدورها بدأت منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر في شكل مجموعات غير منتظمة، خاصة من منطقة القبائل، وهو ما أكده رئيس المندوبية المالية، القبائلي آيت ماضي حين أثار سنة 1899م أهمية الخدمات التي يقدمها الجزائريون لاقتصاد فرنسا، وطالب بضرورة تنظيم حركة الهجرة الجزائرية وبالخصوص من منطقة القبائل نحو الجهات الفرنسية. (Simon, 2000: 39) ولكن السلطات الاستعمارية لم تكن متحمسة لتنظيمها وتوجيهها أمام ضغط المعمرين الذين كانوا يرغبون في الاحتفاظ بهذه الأيدي العاملة الرخيصة والطيعة، إضافة إلى قانون الشرطة الأهلية الذي نص على عقوبات لمن يبتعد عن بلديته بدون رخصة، والذي كان يحد من هجرة الجزائريين دون أن يمنعها كلية. (Termine, 1999: 78)

وبالفعل العديد من الجزائريين كانوا قد اختاروا الاغتراب بفرنسا، غالبيتهم - كما تشير إليه الكتابات الفرنسية - كانوا من تجار الماشية والباعة المتجولين في البداية، والذين كانوا يمارسون نشاطهم في المراكز الكبرى والمدن الساحلية، وهذه الهجرات الأولى كانت امتدادا لهجرات سابقة للسكان نحو بلدان المغرب العربي، وعموما كان استقرارها بمختلف مناطق فرنسا محدودا وقد لا يتجاوز موسما واحدا ثم يعودون إلى مناطقهم الأصلية. لقد كان يجب الانتظار إلى غاية بداية القرن 20 لتصبح الهجرة الجزائرية ظاهرة اجتماعية مميزة، ففي عام 1906م تم تشغيل بعض العمال من منطقة القبائل لتعويض العمال الإيطاليين المضربين في معاصر الزيتون بمرسيليا، وأصبح الذهاب والإياب بعد ذلك بين الجزائر وفرنسا يزداد بشكل مكثف، وقد قدر شارل روبير آجرون عدد العمال الجزائريين الذين اجتازوا البحر

الأبيض المتوسط استجابة لطلب المصنعين الفرنسيين بين 1907م و1913م بحوالي 13 ألف عامل. (Ageron, 1968: 216)

ولم يكن استقرار هؤلاء الجزائريين في المهجر بشكل دائم، باستثناء أقلية حيث وبناء على تقارير من الحكومة الفرنسية، قدر عدد العمال الجزائريين بالمؤسسات الفرنسية بين أربعة آلاف وخمسة آلاف جزائري منهم ألفا عامل بمرسيليا وحدها، أغلبهم من أصول قبائلية كانوا يعملون بمصافي الزيوت بشكل منتظم، إضافة إلى معامل الصابون والمخازن وكانت مرسيليا آنذاك أيضا نقطة انطلاق للمهاجرين الجزائريين باتجاه بقية المدن الفرنسية، وبشكل منتظم نحو المراكز الصناعية الفرنسية الكبرى التي كانت بحاجة إلى اليد العاملة الرخيصة. (Augarde, 1970: 32)

وأشار "أوغارد" أيضا إلى تقارير أخرى تثبت أن عدد الجزائريين الذين قدموا من القطاع الوهراني باتجاه فرنسا، تلبية لطلب الحكومة الفرنسية للعمل في القطاعات المختلفة التي كانت تعاني من نقص فادح في اليد العاملة، قد تجاوز ثلاثة آلاف عامل منهم : 1500 يعملون بمناجم الشمال، وبين 800 و1500 عامل في باريس وحدها للعمل في البناء والأشغال العمومية والصناعات الكيمياوية، ومصانع تكرير السكر ومؤسسات النقل الباريسي. وهذه الاعترافات تؤكد مسؤولية فرنسا في استقرار هذه الأعداد الكبيرة من الجزائريين لإنقاذ الاقتصاد الفرنسي من الانهيار، ومن البديهي أن ينقل المهاجرون ذويهم إذا بقيت حاجة الفرنسيين لهم مستمرة، وأن يولد لهم أبناء يشكلون جزءا من المجتمع الفرنسي، هذا الجيل الذي يمقته اليوم من بنوا اقتصادهم وتطورهم على أكتافه. وتشير كل الكتابات الفرنسية أن الجزائريين كانوا يحضون بالتقدير من رؤسائهم لتفانيهم في عملهم، وكانوا يشجعونهم على دعوة أقربائهم وأصدقائهم للالتحاق بورشات العمل هذه مما أدى إلى ارتفاع عدد العمال الجزائريين.

وفي 18 جوان 1913م صدر مرسوم من الوالي العام، تبعه قانون 15 جويلية 1914م يلغي جواز السفر الذي كان إجباريا على

الجزائريين وأصبح بذلك عدد المهاجرين يتزايد، ليصل في أعقاب الحرب العالمية الأولى إلى حوالي 30 ألف جزائري بفرنسا، رغم أن هذا العدد كان ضعيفا آنذاك مقارنة بحوالي 75 ألف سويسري، 100 ألف ألماني، 290 ألف بلجيكي، 420 ألف إيطالي، ولكن عدد الجزائريين بقي يتضاعف وأخذ الاستقرار هذه المرة يتركز في مراكز الإنتاج الحديثة. (Augarde, 1970: 32)

أثر الحرب العالمية الأولى على الهجرة الجزائرية نحو فرنسا:

كانت الحرب العالمية الأولى منعطفا حاسما في تاريخ الهجرة الجزائرية نحو فرنسا، فباشتراكها في هذا النزاع الذي بدا أطول مما كانت تتوقعه، وجدت فرنسا نفسها ملزمة بالسعي وراء سكان المستعمرات للمساهمة في المجهود الحربي. وفي المجموع تم تجنيد 173 ألف جزائري، منهم 87500 وجهوا إلى جبهات القتال، كما تم توجيه 119 ألف آخرين لتعويض اليد العاملة الفرنسية التي نقلت للجبهة، وأغلبية هؤلاء الجنود أو العمال رأوا فرنسا للمرة الأولى. (Meynier, 1981: 415-459) وكان هؤلاء الجنود يخضعون لمراقبة صارمة من طرف الضباط الفرنسيين، وكانوا يعاملون بعنصرية وبقسوة، ورغم ذلك كانوا مخلصين لقيادتهم وكانت مشاركتهم في هذه الحرب جد فعالة، وهذه الشجاعة وهذا الاخلاص – حسب "مينيي" - أعطيا صورة إيجابية لدى الفرنسيين عن الجزائريين، ودفعاهم إلى تشجيع هجرتهم إلى فرنسا. (Meynier, 1981: 459)

حاجة الفرنسيين لليد العاملة الجزائرية لم يقابلها الاعتراف بالجميل، وإلا كيف نفسر هذه العنصرية وهذا التهميش؟ الجيلاي صاري ومحفوظ قداش بدورهما يؤكدان في كتابهما (المقاومة السياسية 1900-1954...) أن تدفق العمال الجزائريين نحو فرنسا إنما كان تلبية لنداء الأوساط الرسمية الفرنسية، والتي ألغت جواز السفر لأجل ذلك –كما أشرنا سابقا-حتى يتضاعف عدد المهاجرين الجزائريين، وهو ما حدث بالفعل. (قداش، 1987: 220)

وفي إطار تنظيم الهجرة الجزائرية، كان الجزائريون يختارون في مختلف العمالات الجزائرية من قبل هيئة تدعى مصلحة تنظيم العمال المعمرين ويبعثون إلى فرنسا، وهناك يعيشون تجربة جديدة. كان هؤلاء العمال يشغلون في المؤسسات العمومية أو الخاصة والتي تنتج الآلات العسكرية والأسلحة، وفي مصانع الغاز، في وسائل النقل، في المناجم، في مصالح الطرقات بالمدن، في المصانع، وفي المواقع التي تشرف عليها مصالح الجيش وفي أعمال الحفر في الجزء الخلفي من جبهات القتال، وذلك لمدة عشر ساعات كاملة يرهقهم فيها العمل الشاق، ولم تكتف السلطات الفرنسية بذلك بل لجأت إلى إبعادهم خارج المدن وإسكانهم في ثكنات قديمة وكلفت مكاتب الشؤون الأهلية بمراقبة نشاطاتهم وتنقلاتهم. (Meynier, 1981: 422)

وقد اعترضت المهاجرين الجزائريين صعوبات كبيرة في التأقلم والاختلاط مع الأوربيين، حيث كانوا يواجهون بمواقف عنصرية رافضة إياهم للتعايش معهم، وخاصة من قبل الفرنسيين الذين كانوا يرونهم سببا في تدني الأجور، وزوجات المجندين اللواتي تخوفن من هيمنة الجزائريين على مناصب العمل وإحالة أزواجهم بعد عودتهم من الجبهة على البطالة.

حركة الهجرة الجزائرية إلى فرنسا بين الحربين العالميتين الأولى والثانية (1919 - 1939م)

خلفت الحرب العالمية الأولى خسائر فادحة مادية وبشرية، حيث بلغ مجموع قتلى فرنسا 1.4 مليون مما يعادل نسبة 10.5% من الفئة الذكورية الفرنسية النشيطة، و2.8 مليون من الجرحى زيادة على مظاهر الدمار المادي، وهذه الظروف عقدت الوضعية الاقتصادية لفرنسا، ولإعادة بناء ما خربته الحرب ولتحقيق انطلاقة اقتصادية جديدة كانت فرنسا بحاجة ماسة إلى اليد العاملة، وتوالت النداءات الفرنسية للمهاجرين، وتدفقت عليها أعداد هائلة من العمال من شتى مناطق أوربا والمستعمرات، وكان الجزائريون كغيرهم يلبون دعوة فرنسا لسد النقص لدى المؤسسات الفرنسية المختلفة. (Blanc-Chaléard, 2001: 31-32) البعض من هؤلاء عادوا بعد مدة إلى

الجزائر ولكن الظروف الاجتماعية الصعبة أرغمتهم على الهجرة من جديد رفقة آخرين جدد جربوا الاغتراب عن وطنهم لأول مرة في حياتهم مع عائلاتهم، بحثا عن عمل لتحسين أوضاعهم.

ما بين 1920 و1923م التحق بفرنسا 124800 مهاجر جزائري لم يعد منهم إلى الجزائر سوى 80300 شخص، ووصل عدد المهاجرين الإجمالي في السنوات الثلاثة المذكورة إلى 44500 مهاجر جزائري.(Belkacem, 1965: 71-89) وقد ضايق ذلك كثيرا المعمرين في الجزائر مما دفعهم إلى الضغط على الإدارة الاستعمارية لمراقبة حركة الهجرة نحو فرنسا وتشديد الضغوط عليها حفاظا على اليد العاملة الجزائرية الرخيصة. تبعا لهذا الضغط صدرت قرارات وزارية في 08 و11 أوت، ثم في 12 سبتمبر 1924م لوضع نظام مراقبة للهجرة، يفرض الحصول على عقد عمل كشرط، مع تقديم شهادة طبية تثبت القدرة على العمل والسلامة من أي مرض معدي، وبطاقة تعريف مزودة بصورة للمعني. وقد أوقف العمل بهذه القرارات في جوان 1926م من طرف مجلس الدولة. وبعد شهرين من ذلك صدر مرسوم آخر يربط السماح بالهجرة للجزائريين إلى فرنسا بتقديم بطاقة تعريف عليها صورة شخصية وتتضمن إنهاء المعني لواجباته العسكرية، ووثيقة السوابق القضائية على ألا تتضمن أية إدانة وشهادة طبية تثبت السلامة من الأمراض المعدية مع تلقيح لا تتجاوز مدته خمس سنوات. (Augarde, 1970: 33-34) وفي 04 أوت 1928م صدر مرسوم آخر، أضاف إجراءات أخرى منها : خضوع المهاجر لإعادة الفحص الطبي - تقديم وصل يثبت دفع قسط مالي حددته المصالح المعنية لتغطية تكاليف أي طرد محتمل - إحضار تذكرة سفر - دفع رسم قيمته 150 فرنك فرنسي. وعموما هذه الإجراءات والقيود لم تحد من حركة هجرة الجزائريين إلى فرنسا بقدر ما أبطأتها فقط. وفي نهاية الثلاثينات من القرن 20م وصل العدد الإجمالي للجزائريين المستقرين بفرنسا إلى حدود 100 ألف مهاجر. (Augarde, 1970: 34)

هذه القيود كلها تثبت أن السلطات الفرنسية كانت تريد الاستفادة من الجزائريين مؤقتا في إعادة بناء بلادها فقط دون الرغبة في بقائهم

بصفة دائمة، واتضح ذلك جليا فيما بعد لما تضررت فرنسا كثيرا من الأزمة الاقتصادية العالمية في الثلاثينات، وارتفعت معدلات البطالة ليصل عدد العاطلين عام 1932م إلى حوالي 260 ألف، (Dard, 1999: 22-23) ثم ارتفع العدد في نهاية سنة 1935م إلى 433238 عاطل رغم تحسن الوضعية الاقتصادية، (Dard, 1999: 99) وقلصت فرنسا من عدد الأجانب للتخفيف من حدة البطالة، وقانونيا الجزائريون لم يكونوا معنيين بهذه الإجراءات باعتبارهم فرنسيين، ورغم ذلك ولافتقارهم لأية كفاءة مهنية فقد كانوا الضحايا الأوائل للبطالة، واضطرت أعداد كبيرة منهم للعودة إلى الجزائر من جديد، وذلك ما أثر على حركة الهجرة.

رغم الظروف القاهرة يشير "أوغارد" إلى أن عدد الجزائريين الذين بقوا في فرنسا سنة 1936م كان في حدود 32 ألف جزائري، (Augarde, 1970: 35) وفي 17 جويلية 1936م أعادت الجبهة الشعبية فتح المجال للعمال مما شجع الجزائريين على العودة إلى فرنسا واكتضت الموانىء بالمهاجرين، ثم سرعان ما صدرت قرارات لتقييد حركة الهجرة منها قرار 14 أكتوبر 1936م، قرار 09 ديسمبر 1936م، وقرار 13 جانفي 1937م، والتي تفرض من جديد بطاقة التعريف ووصل الدفع والفحص الطبي، وانخفضت بذلك معدلات الهجرة عما كانت عليه إلى غاية الحرب العالمية الثانية. (Simon, 2000: 63)

حركة الهجرة الجزائرية إلى فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية (1939 -1945) :

أوقف قيام الحرب العالمية الثانية سنة 1939م حركة الهجرة الحرة واقتصر الأمر على الهجرة المنظمة تحت إشراف عسكري، حيث التحق بفرنسا في بداية الحرب ثلاثة آلاف عامل وزعوا على مجموعة من الأفواج، يضم كل منها 500 مهاجر يشرف عليهم ضباط عسكريون، وتم تشغيلهم في قطع الأخشاب وأعمال البناء وصيانة الطرق، وكان من المنتظر وصول أفواج أخرى ولكن الهدنة الموقعة

بين فرنسا وألمانيا سنة 1940م أوقفت الهجرة مؤقتا، وتم نقل 13628 مهاجرا نحو باريس قبل إعادتهم إلى الجزائر. (Genty, 1999: 102)

هذا التوقف كان مؤقتا حيث بحلول سنة 1941م وفي ظل نشاط الدعاية الألمانية تجاه العالم العربي، عمد الألمان إلى تشغيل اليد العاملة المغاربية وعادت حركة الهجرة الجزائرية من جديد إلى معدلات مرتفعة سنة 1942م، حيث وصل عدد المهاجرين الأحرار في جانفي من نفس السنة إلى ثمانية آلاف عامل أغرتهم الأجور المرتفعة في ألمانيا، وتكفلت بتشغيلهم "منظمة توديت"، (فوج الهندسة المدنية والعسكرية لألمانيا النازية)، (أنظر التعليق الأول) في إطار بناء الجدار الأطلسي(1942 - 1944م) والذي كان قلاعا ساحلية لتحصين القوات النازية ضد الهجمات المتوقعة من أعدائها، كما أن حاجة المصانع الألمانية الحربية لليد العاملة دفعت ألمانيا إلى طلب المزيد من العمال من فرنسا، وفرضت عليها إرسال 250 ألف عامل قبل 15 جويلية 1942م منهم 150 ألف من ذوي المؤهلات، كما شجعت حكومة فيشي الجزائريين على الهجرة نحو ألمانيا، ووصل منهم فعلا في تلك السنة 9208 من العمال، وخضع الراغبون في الهجرة للمراقبة الطبية في الجزائر بطلب من ألمانيا، وحاولت الحكومة العامة آنذاك الوصول إلى 10 آلاف عامل قبل ربيع 1943م. (Cantier, 2002: 166-169) وأوقفت الهجرة بعد ذلك إلى غاية سنة 1945م، وبقي من المهاجرين بفرنسا حوالي 60 ألف جزائري كانوا يشتغلون في قطاعات مختلفة حسب حاجات المؤسسات الفرنسية لهم. (Stora, 1992: 78-80)

الهجرة الجزائرية بين 1945 – 1954م:

الحرب العالمية الثانية التي خلفت في فرنسا 600 ألف قتيل مع عدد مرتفع من الجرحى والمعطوبين غير القادرين على العمل، عقدت الوضعية الديمغرافية للبلاد وتقلص عدد الأجانب بعد عودة أسرى الحرب الألمان والبولنديين وبعض المهاجرين من أوربا الوسطى إلى بلدانهم. فقد وصل عدد من بقي من الأجانب في فرنسا طبقا لإحصاء مارس 1946م إلى 1.670.729 شخصا فقط مقابل 2.453.507 سنة 1936م، وهذه الوضعية كانت مقلقة للفرنسيين في ظل الحاجة الماسة لليد العاملة. ولعلاج المشكل أنشأت الحكومة الفرنسية في 02 نوفمبر

1945م الديوان الوطني للهجرة لتشجيعها، من أجل تنفيذ مخطط "موني" الخاص بالعصرنة والتجهيز، وكانت فرنسا بحاجة إلى 480 ألف أجنبي قبل نهاية سنة 1947م، والوصول بعدد المهاجرين إلى 1.5 مليون مع نهاية سنة 1950م. (Lefeuve, 2006: 153)

وأمام صعوبة تحقيق هذا الهدف في ظل تنامي دور النقابات المدافعة عن حقوق العمال في أوربا، وجدت فرنسا نفسها مرغمة على الالتفات إلى مستعمراتها وخاصة الجزائر، وسمحت بحرية الهجرة للجزائريين الراغبين في العمل بفرنسا والاستقرار بها. وبدأ المهاجرون يتمتعون تقريبا بنفس حقوق الفرنسيين، ووجدوا تسهيلات إدارية ولكنهم خضعوا لمراقبة عن قرب في تنقلاتهم وحركاتهم. وعلى امتداد سنوات 1946-1947 و1948م كانت الأعداد الشهرية للمهاجرين الجزائريين في المتوسط بين ألفين إلى ثلاثة آلاف مهاجر، وفي عام 1949م وطبقا لإحصائيات مكاتب الشؤون الإسلامية كانت هذه الأعداد تتراوح بين ألفين واثني عشر ألف عامل، وسجل في أوت 1950م رقم قياسي بوصول 17321 مهاجر جزائري. (Caran F1A 5046, 1965) (أنظر التعليق الثاني)

بدأت الجالية الجزائرية تتزايد بسرعة ووصل عدد أفرادها سنة 1951م إلى 150 ألف شخص، وازدادت في السنة الموالية بما يقارب 13700 مهاجر ووصل في سنة 1953م 134 ألف مهاجر جديد. وفي سنة 1954م وصل من المهاجرين: في مارس 18039، في أفريل 17268، وفي أوت 23569 ثم في سبتمبر 21706 مهاجر. (Caran F1A 5046, 1965)

وقد أثبتت بعض الدراسات أن المهاجرين الجزائريين لقوا الأفضلية، وأنه قد وصل فرنسا بين 1951 و1954م ما يقارب 1.5 مليون مهاجر بعضهم في إطار هجرة منظمة حصلوا على عقود عمل، وتم تنظيمهم في مراكز تجميع في منطقة مرسيليا قبل توزيعهم على قطاعات عملهم والبعض الآخر لم يخضعوا للمراقبة، ونظموا أنفسهم في جماعات وتم تشغيلهم في شتى القطاعات. (Termine, 1999: 80)

مسارات و آليات الهجرة الجزائرية نحو فرنسا:

ظروف قاهرة عاشها الجزائريون بسبب السياسة الاستعمارية خاصة في القرى بعد مصادرة الأراضي، ولم يبق للسكان إلا أراضي معاشية لا تكفي حاجياتهم، وارتفعت معدلات البطالة. هذه الظروف ساهمت بشكل كبير في تزايد حركة الهجرة نحو فرنسا، لتبلغ نسبة المهاجرين ما يقارب 20 % من مجموع السكان وثلث الفئات النشيطة، في الوقت الذي تؤكد الدراسات الفرنسية نفسها أن الملايين من الجزائريين كانوا يعانون الفقر والجوع. (Lefeuve, 1997: 57-72) حينئذ لا نستغرب إن كانوا يبحثون في أي مكان عن عمل للتخلص من البؤس، وكانت فرنسا المنطقة المفضلة لديهم بحكم احتكاكهم بالفرنسيين وارتباط بلادهم بالمحتل الفرنسي، ثم أن رجوع المغتربين من حين لآخر لزيارة ذويهم في الجزائر بلباسهم الأنيق، ويحملون الهدايا والأموال بما يكفي لشراء عقارات أو تجديد منازلهم أوهم بقية الجزائريين بأن تحقيق أحلامهم مرتبط بفرنسا التي شبهت بالفردوس، غير أن الواقع كان بعيدا عن ذلك تماما. (Zehraoui, 1971: 74-75)

المناطق الأصلية الرئيسية للهجرة الجزائرية إلى فرنسا:

بنظرة متأنية لحركة الهجرة الجزائرية نحو فرنسا يمكن ملاحظة خمس مناطق رئيسية كانت تمثل نقطة انطلاق لأعداد كبيرة من المهاجرين من الشرق إلى الغرب، الأولى تضم المقاطعات الممتدة من مغنية إلى تلمسان على الحدود الجزائرية المغربية، الثانية تجمع جهات مستغانم وغليزان في الجهة الغربية مع منطقة الشلف، الثالثة: منطقة القبائل الكبرى، الرابعة: القبائل الصغرى والمناطق الجبلية لإقليمي الجزائر وقسنطينة إضافة إلى الواحات أما الخامسة فتضم الهضاب العليا شرق منطقة الجزائر والقطاع القسنطيني مع اختلاف نسبة الهجرة بين كل جهة حتى داخل كل منطقة من هذه المناطق.

أولا ـ منطقة مغنية وتلمسان:

مغنية المحاذية للمغرب الأقصى والتي كانت تضم سكانا من أصل بربري في منطقة جافة كانت تشكل نقطة انطلاق هامة للهجرة نحو فرنسا، تأتي فيها ندرومة في المقام الأول بأكثر من 4000 مهاجر بما يعادل أكثر من 06 % من مجموع السكان المسلمين. هذه المنطقة التي تسود بها الأراضي الجبلية الفقيرة، رغم ارتفاع إنتاج الحبوب بها بأكثر من 50 ألف قنطار بين 1950م و1954م إلا أنه بقي غير كاف لعدد من السكان تجاوز 65 ألف نسمة. (Caran F1A 5047, 1965)

تلمسان بدورها كانت تمثل منطقة خاصة، حيث عرفت الجهة الشمالية منها والتي تضم بلدية الرمشي المختلطة والبلديات الكاملة الصلاحيات والمراكز الاستيطانية لكل من تلمسان، زلبون والحناية (أوجين إيتيان) حركة هجرة كثيفة، وهذه المنطقة تجمع معا القرى البربرية والقرى العربية. ومقارنة بفترة ما قبل الحرب العالمية الثانية فقد تجاوز عدد المهاجرين غداة قيام الثورة التحريرية 700 عامل وكان ارتفاع الأجور وحب المغامرة الدافع الأساسي لهذه الهجرة. (Caran F1A 5047, 1965)

ثانيا - مقاطعات مستغانم - غليزان - الشلف (أورليلنفيل):

في مقاطعة مستغانم، القرى الشرقية المحاذية لبلديات الشلف (أورليانفيل) المختلطة كانت الوحيدة التي عرفت هجرة شبانية كثيفة قدر فيها عدد المهاجرين - حسب تحقيق مونتاني- ب 2400 عامل. وفي مقاطعة غليزان سجل معدل هجرة مرتفع ببلدية عمي موسى المختلطة بصفة خاصة بعد سنة 1946م، حيث وصل العدد إلى 1500 مهاجر سنة 1954م، وتعود أسباب هذه الهجرة إلى فقر المنطقة في تربة ذات مردودية ضعيفة في الشمال، جبال منحدرة في الجنوب. الزراعة الوحيدة بها هي الحبوب، وغالبا ما يسود المنطقة جفاف يخلف مجاعات، ملكيات الفلاحين صغيرة جدا : 500 فلاح يملكون أقل من 40 هكتار، و1000 يملكون أقل من 20 هكتار و7000 يملكون أقل من 10 هكتارات، بينما 6000 لا يملكون سوى أقل من 05 هكتارات. (Caran F1A 547, 1965) وبالتالي كانت الهجرة ضرورية بالنسبة للكثير من هؤلاء السكان لتحسين أحوال أسرهم، أما مقاطعة الشلف (أورليانفيل) فكانت تضم بلديات : تنس، الشلف، والونشريس المختلطة.

ففي بلدية تنس المختلطة تعود الهجرة إلى فترة الحرب العالمية الأولى(1914-1918)، حيث استقر شبابها ممن تم استدعاؤهم للخدمة العسكرية أو العمل في فرنسا، ثم تبعهم العديد من سكان المنطقة على غرار بقية الجزائريين في إطار حاجة فرنسا للعمال سنة 1946م لإعادة بناء ما خربته الحرب العالمية الثانية. بلدية الشلف المختلطة الواقعة في وسط المقاطعة مفصولة في ثلثها الشمالي بمنطقة تجمع عدة بلديات كاملة الصلاحيات، وهذه المنطقة تعرف نشاطا زراعيا هاما يشغل عددا معتبرا من العمال، ولم يتجاوز معدل الهجرة بها 1200 عامل.أما في القسم الجنوبي من الإقليم فبلدية الونشريس المختلطة تتميز بسطح هش واستغلال منجمي ضعيف، (الجبل القديم) وزراعة كروم لا توظف في الغالب سوى أقل من 800 عامل، ولذلك عرفت بدورها هجرة مرتفعة، بدأت بالاتجاه نحو منطقة المتيجة داخليا ثم غيرت مسارها نحو فرنسا. (Caran F1A 5047, 1965)

هجرة سكان القبائل الصغرى والمناطق الجبلية لإقليمي الجزائر وقسنطينة ومناطق الواحات:

منطقة القبائل الصغرى معروفة بجبالها العالية ووديانها الحادة والمنحدرة ومناخها قاس والمردود الفلاحي ضئيل، كل ذلك أدى إلى هجرة كثيفة داخلية ثم خارجية، فقد تعود على الانتقال بانتظام إلى المناطق الخصبة بالجزائر منذ سنة 1890م سكان القبائل والمناطق المجاورة لإقليمي الجزائر وقسنطينة وخاصة جنوب جرجرة ووادي المرسى وتاكينونت والمسيلة ومعاديد والأوراس، ثم مناطق الواحات (بسكرة، توقرت، ورقلة). وبعد 1918م أخذت الهجرة منحى آخر بالاغتراب في فرنسا، ليصل عدد المغتربين من هذه المناطق إلى 90 ألف شخص واستمرت هذه الهجرة حتى بعد الاستقلال الوطني لدوافع اقتصادية وخاصة من بجاية. (Caran, cahier liminaire n4, n5, n6, n7, n8, 1965)

هجرة سكان القبائل الكبرى: فورناسيونال(الأربعاء ناث إيراثن) وتيزي- وزو

القبائل الكبرى على غرار مثيلتها الصغرى منطقة ريفية بربرية، وهي أبرز منطقة في الجزائر من حيث حركة الهجرة، حيث دلت

إحصائيات 1953-1954م المنظمة من طرف البلديات المختلطة لمقاطعات تيزي-وزو وفورناسيونال(الأربعاء ناث ايراثن) على وجود 60 ألف مغترب من المنطقة في فرنسا، وهذه الهجرة قديمة وكانت منظمة ولم تنقطع منذ 50 سنة السابقة لفترة الاحصاء، واستمرت حتى بعد الاستقلال. كان الهدف من هذه الهجرة ضمان دخل مقبول في فرنسا لإعانة عائلات المغتربين وتحسين ظروف معيشتهم، وهناك القليل من المغتربين ممن قطعوا صلاتهم بالوطن وفضلوا العيش بصفة نهائية في فرنسا. (Caran F1A 5047, 1965)

الخاتمة:

لقد مست الهجرة الجزائرية نحو فرنسا كل مناطق الوطن تقريبا، ولكنها كانت كثيفة في الشمال مقارنة بالمناطق الجنوبية، ومست هذه الحركة بصفة خاصة الفئات الشبانية التي يتراوح سنها بين 20 و29 سنة، وقلما سجلنا فئات تجاوزت الأربعين سنة حتى أن الجالية الجزائرية بفرنسا مقارنة ببقية الجاليات الأجنبية كانت الأصغر سنا. 65% من المهاجرين الجزائريين في فترة الاحتلال الفرنسي كانوا متزوجين، مما يفسر حاجتهم الماسة لتحسين ظروف عيش عائلاتهم بالجزائر، ومقارنة أيضا بالإيطاليين أو الاسبان أو البولنديين والذين يشكلون أغلبية المهاجرين الأوربيين كان الجزائريون يفضلون الاغتراب دون أخذ عائلاتهم. ولم تبدأ حركة الهجرة مع العائلة إلا في الخمسينات من القرن 20م، ليشكل الجزائريون اليوم رفقة مهاجري بقية البلدان المغاربية غالبية المهاجرين المسلمين. وظل المغتربون يعيشون في انكماش وانغلاق، ورغم حصولهم على المواطنة فإن المجتمع الفرنسي لا زال ينظر إليهم كأجانب، ويلصق بهم تهما كثيرة في مقدمتها مشكلة التطرف، وأصبحت وضعيتهم تشكل قضية وتستدعي حلولا عاجلة.

هذه الوضعية باعتراف الفرنسيين أنفسهم، كانت نتاج حركة الهجرة التي فرضتها المحن والظروف الاجتماعية القاهرة التي صنعها الاستعمار في الجزائر، والتي جعلت الجزائري بعدما كان أشد حرصا

على التمسك بأرضه يغادرها مرغما ليعيش منبوذا، بعيدا عن وطنه، ومهما حاول الكتابات الفرنسية إظهار اندماج الجزائريين في المجتمع الفرنسي وحصولهم على بعض الحقوق، تبقى النظرة الدونية تجاههم تؤرقهم وتشكل عقبة كبيرة أمام هذا الاندماج.

ـ هذه المنظمة أخذت إسمها من مؤسسها المهندس "فريتز توديت" والذي بقي يسيرها إلى غاية وفاته يوم 08 /1942/02م.

-(centre d'accueil et de recherches des archives nationales) caran : يقصد به مركز الإستقبال والبحث في الأرشيف الوطني وهو مركز فرنسي يقع في باريس ، صدرت عنه العديد من الإحصائيات والدراسات حول حركة الهجرة إلى فرنسا .

قائمة المراجع:

- صاري الجيلالي وقداش محفوظ، (1987)، **المقاومة السياسية 1900-1954 الطريق الإصلاحي والطريق الثوري**، ترجمة عبد القادر بن حراث، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

- Ageron Charles Robert, (1968), **les musulmans algériens et la France 1871- 1919**, Paris, P.U.F.

- Augarde Jacques, (1970), **la migration algérienne**, Paris, hommes et migrations.

- Blanc-Chaléard Marie-Claude, (2001), **histoire de l'immigration**, Paris, la découverte, coll. :repères.

-Cantier Jacques, (2002), **l'Algérie sous le régime de Vichy**, Paris, Odile Jacob.

- Caran f1a 5046, (1965), **mouvements de la main-d'œuvre entre l'Algérie et la France**, « statistiques diverses et graphiques des soldes migrations mensuels et annuels » 1914-1965.

-Caran f1a5047, (1965), **enquète Montagne**, cahier n.1 « l'émigration des arrondissements de Tlemcen et de Marnia ».

- Caran f1a 5047, (1965), **enquète Montagne**, cahier n.2 « l'émigration dans les arrondissements de Mostaganem, Relizane et Orléansville ».

-Caran, (1965), cahier liminaire, cahier n.4 « **l'émigration du versant sud du Djurdjura**, cahier n.5 « l'ém**igration dans les arrondissements de Bougie et Djidjeli** », cahier n.6 « **l'émigration dans les arrondissements de Bordj Bou-Areridj**

et Setif », cahier n.7 « **l'émigration dans les arrondissements de Batna** », cahier n.8 « l'émigration dans les arrondissements de Constantine et Ain-Beida ».
-Caran f1a5047, (1965), cahier liminaire et cahier n.3 « **l'émigration dans la Grande Kabylie**, arrondissement de Tizi-Ouzou et de Fort National ».
-Dard Olivier, (1999), **les années 1930, le livre de poche**, Paris, coll. :la France contemporaine.
- Genty Jean- René, (1999), **l'immigration algérienne dans le nord/ Pas-de-calai**s, Paris, l'Harmattan.
- Hifi Belkacem, (1965), l'immigration algérienne en France, origines et perspectives de non- retour, Paris, l'Harmattan.
-Lefeuvre Daniel, (1997), **chère Algérie, comptes et mécomptes de la tutelle coloniale 1930-1962**, Paris, éditions de la société française d'histoire d'outre-mer.
-Lefeuvre Daniel, (2006), **pour en finir avec la repentance coloniale**, Paris, Flammarion.
- Meynier Gilbert, (1981), l'**Algérie révélée, la guerre de 1914-1918 et le quart du 20éme siècle**, Paris, librairie Droz.
- Simon Jacques, (2000), **l'immigration algérienne en France des origines à l'indépendance**, Paris, Paris - Méditerranée.
- Temine Emile, (1999), **la politique française à l'égard de la migration algérienne « le poids de la colonisation** » in : le mouvement social , immigration et logiques nationales, n.188, Paris, éditions de l'attelier, .
- Zehraoui Ahséne, (1971), **les travailleurs algériens en France**, Paris, François Maspero.

- للإحالة على هذا المقال
- شيخ لعرج،(2019)، «هجرة الجزائريين خلال العهد الاستعماري من خلال الكتابات الفرنسية (1830- 1962) ». **المواقف**، المجلد: 14، العدد: 02، جوان2019، ص. ص45-62.